مسألة العمل مع السلطان بين النظرية والتطبيق عند الشريف المرتضى

أ. م. د. رحيم مزهر جبر العتابي
جامعة بغداد/ كلية اللغات

الملخص

أن رسالة الاسلام جاءت لايصال كلمة الدين الى الدولة الجائرة على الدوام كما يوحي بذلك حديث نبوي (افضل الجهاد كلمة حق امام سلطان جائر)، لذلك كان على الشيعة الاعتقاد بوجود حاجة فعلية للتعاطي مع سلطان الوقت. لذلك كان ينبغي وضع رؤية جديدة غير تقليدية للعمل السلطاني وفق حالة استثنائية غير طبيعية في زمن الغيبة .لاسيما وان الشريف المرتضى كان من الشخصيات التي تتمتع برجاحة العقل وبعد النظر ونفاذ البصيرة وعمق التجربة والهيبة ونفوذ الكلمة في الاوساط السياسية والشعبية. فقد كان المرتضى مرجعاً مهماً في الاحداث السياسية يلجا اليه الملك والخليفة والسلطة العامة.

ونراه – الشريف المرتضى – انه بمثابة قائد ميداني يدور مع الاحداث لا يمكنه ان يغفل عما يحدث.ولعله بهذه المواقف ومثيلاتها يخفف من سوء الوضع الذي كان الفرد يعيشه .كما انه بعلاقته مع رجال السلطة البويهية من ملوك وسلاطين ووزراء وغيرهم لم يقف مع باطل فعلوه ابدا وانما كان غالبا ما تدفعه نزعته الاصلاحية الى تقويم عملهم كلما سنحت الفرصة الى ذلك. ان الحكمة تقتضي من انخراطه برفقة علماء عصره في ادارة الدولة مجتمعين ولا لانفراد وتسلط فئة على حساب فئة اخرى.وانه لا بد من توجيه بعض لبعضهم الاخر للوصول الى بر الامان . مثلت شخصية الشريف وبالرغم من تسارع الاحداث وتطورها انه صاحب قيم ثابتة بالرغم من الاحداث المتغيرة .ولعل السبب في ذلك هو معرفته برجال عصره بالرغم من كل انتماءاتهم الطائفية وانحداراتهم الطبقية وخلفياتهم الثقافية ومستوياتهم المعاشية.

النقاط الرئيسة للبحث:

الشريف المرتضى والسلطة العباسية، المرتضى وثوران الفتنة بين أهل الكرخ وأهل القلائين، المرتضى وحلف الملك للخليفة يميناً، الشريف المرتضى وحادثة جامع براثا، الشريف المرتضى والسلطة البويهية، الشريف المرتضى في مواجهة الاضطرابات، الشريف المرتضى وحادثة تجديد البيعة، دور المرتضى من مكاتبة الاتراك للملك جلال الدولة.

منهج ومحور البحث: (ويمكن ادراج هذا البحث ضمن محور العقيدة والفلسفة)

ونجانب الصواب اذا ما قلنا ان مثل هذه المواضيع يجب ان تعتمد على المنهج التحليلي للروايات كلما استدعت الحاجة لذلك للوقوف على دور الشريف المرتضى ومن يسير على نهجه في تعامله مع السلطان، والابتعاد قدر المستطاع عن العرض السردي للروايات التاريخية.

خطة البحث:

أقتضت خطة البحث ان نقسمه على مبحثين اساسين تضمن الاول منهما عمل الشريف المرتضى مع السلطة الحاكمة متمثلة بالخلافة العباسية .اما المبحث الثاني فقد تمحور حول عمله مع السلطة البويهية.هذا مع خاتمة اودعنا فيها خلاصة ما توصلنا اليه، مع قائمة بأبرز المصادر الاولية والمراجع الحديثة التي اعتمدناها لاخراج بحثنا بصورته النهائية.والله الموفق والمستعان.

المقدمة

الحمد لله حمداً كما يستحقه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد المصطفى وآله البررة الطيبين الطاهرين الى يوم الدين...

لا باس في بداية كلامنا ان نعرف بالشريف المرتضى وهو علي بن الحسين بين موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : أبو القاسم المرتضى علم الهدى نقيب العلويين أخو الشريف الرضي، أوحد زمانه فضلا وعلما وفقها وكلاما وحديثا وشعرا وخطابة وكرما وجاها إلى غير ذلك . وكان امام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق إليه فزع علماؤها وعنه اخذ عظماؤها صاحب مدارسها وجماع شاردها وآنسها ممن سارت أخباره وعرفت به أشعاره وحمدت في دين الله مأثوره وآثاره إلى تواليفه في الدين وتصانيفه في أحكام المسلمين ما يشهد انه فرع ذلك

الأصل الأصيل ومن أهل ذلك البيت الجليل، لقب بالمرتضى ذا المجدين ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مائة وتوفي سنة ست وثلاثين وأربع مائة.

اما بعد أن رسالة الاسلام جاءت لايصال كلمة الدين الى الدولة الجائرة على الدوام كما يوحي بذلك حديث نبوي (افضل الجهاد كلمة حق امام سلطان جائر)، لذلك كان على الشيعة الاعتقاد بوجود حاجة فعلية للتعاطي مع سلطان الوقت. وقد تعزز هذا الامر مع تكوّن طبقة من الفقهاء والكلاميين الشيعة منذ القرن الرابع الهجري، لقد وجد فقهاء الشيعة الاوائل انفسهم امام تحولات سياسية بالغة الجدّة، وتنطوي تداعياتها على رابطة وثيقة بالمذهب الشيعي، فبعد قرابة خمس سنوات على وقوع الغيبة الكبرى ظهرت الدولة البويهية الشيعية، لذلك كان ينبغي وضع رؤية جديدة غير تقليدية للعمل السلطاني وفق حالة استثنائية غير طبيعية في زمن الغيبة، مؤسسة على جملة من الروايات عن الائمة تضع حدودا للعمل مع السلطان منها ماروي عن الامام الصادق(عليه السلام) :(كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الاخوان) وفي رواية (الاحسان الى الاخوان)، وانطلاقاً من هذه المبادئ انبرى الشيخ المفيد ليؤسس قاعدة للتعاطي مع السلطة من خلال تأكيده على وجوب وجود نظام في كل زمان، ويقر بأن الناس تكون في ظل النظام أكثر صلاحاً وأقل فساداً، ولحقه تلميذه الشريف المرتضى صاحب بحثنا هذا لينطلق وفق هذه القاعدة من خلال اقامة علاقات وثيقة مع السلطة عباسية كانت ام بويهية، لذلك كان متكلمو الشيعة وفقهاؤهم قد بذلوا ذكاءً ملحوظاً في افضل جزء من تاريخ التشيع في ايجاد طرق عملية للتوافق مع حكام العصر، وذلك حتى يضمنوا بقاء اتباعهم وأمنهم. ومن هنا نجد السيد الشريف المرتضى هو الراعي والسيد الحكيم الذي يراقب الاحداث ويعطي النصيحة للسلطة او الافراد من خلال تفاعله معهما وانخراطه في شؤونهما فهو صاحب الكلمة المسموعة في اجواء زاخرة بالاحداث والفتن بينما كان الملوك والحكام منشغلين بالحفاظ على عروشهم لذلك سقطت هيبة السلطان وأختل الامن وشاعت الفوضى، لذلك انبرى السيد الشريف المرتضى للحفاظ على حياة الناس وحفظ كرامتهم ودرء الفتن بين طوائفهم، من خلال وجوده في كل صغيرة وكبيرة، ومن خلال تسنمه لمناصب قلده اياها الحاكمون لرجاحة عقله وعظم مكانته بين مختلف الناس وهذا ما سنستعرضه من احداث ووقائع نوردها لكم .

منهج البحث:

حاولنا الاعتماد على المنهج التحليلي للروايات كلما استدعت الحاجة لذلك للوقوف على دور الشريف المرتضى في تعامله مع السلطان، مبتعدين قدر المستطاع عن العرض السردي للروايات التاريخية.

واقتضت خطة البحث ان نقسمه على مبحثين اساسين تضمن الاول منهما عمل الشريف المرتضى مع السلطة الحاكمة متمثلة بالخلافة العباسية .اما المبحث الثاني فقد تمحور حول عمله مع السلطة البويهية. هذا مع خاتمة اودعنا فيها خلاصة ما توصلنا اليه، مع قائمة بأبرز المصادر الاولية والمراجع الحديثة التي اعتمدناها لاخراج بحثنا بصورته النهائية.والله الموفق والمستعان.

المبحث الاول:الشريف المرتضى والسلطة العباسية

لنبدأ بـ **(تقليد الشريف)**المرتضى الحج والمظالم ونقابة الطالبيين، وجميع ما كان لأخيه الرضي، وجمع الناس لقراءة عهده في الدار الملكية وحضر فخر الملك ابو غالب محمد بن علي بن خلف وزير بهاء الدولة والأشراف والقضاة والفقهاء وكان في العهد، هذا ما عاهد عبد الله أبو العباس أحمد الإمام القادر باللَّه أمير المؤمنين إلى علي بن موسى العلويّ حين قربته إليه الأنساب الزكية، وقدمته لديه الأسباب القوية، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختص عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، فقلد الحج والنقابة، وأمره بتقوى الله، وذكر كلاما فيه طول من إيصائه بالخير واللطف فيما استرعي .[1] كان حظ المرتضى من السياسة موفورا، بما اصاب من منزلة .[2]

وان كثيرا من الحوادث التاريخية تدل على ان لشخصية المرتضى ابعادا وادوارا سياسية مهمة، لا تقل في اثرها وفاعليتها ودلالتها عما كان لشخص والده.وما كان يتمتع به من رجاحة العقل وبعد النظر ونفاذ البصيرة وعمق التجربة والهيبة ونفوذ الكلمة في الاوساط السياسية والشعبية، من المكونات التي بنى على اساسها هذا البعد لشخصيته.لذا كان حضوره في المناسبات السياسية الهامة، كبيعة الخليفة او الامير البويهي مثلا .[3]

وفي سنة 414هـ عند مسير السلطان مشرف الدولة ابي علي بن بهاء الدولة ابي نصر بن عضد الدولة ابي شجاع (ت، 416هـ) إلى بغداد من ناحية واسط، ورُوسل القادر بالله في البروز لتلقيه، فتلقاه من الزلاقة . ولم يكن تلقى أحداً من الملوك قبله . فركب في الطيار، وعن جانبه الأيمن الأمير أبو جعفر حجاج بن هرمز (ت، 400هـ)، حاجب عضد الدولة وعن يساره الأمير أبو القاسم، وبين يديه أبو الحسن علي بن عبد العزيز، وحوالي

القُبة الشريف أبو القاسم المرتضى، وأبو الحسن الزينبي، وقاضي القضاة ابو الحسن احمد بن محمد ابن أبي الشوارب .[4]

وعند ورود الأصفهلارية* إلى بغداد سنة 417هـ، راسلوا العيارين وكانوا قد كثروا بالانصراف عن البلد، فلم يلتفتوا إلى هذه المراسلة وخرجوا إلى مضارب الأصفهلارية وصاحوا وشتموا، ووقعت حرب طول النهار وأصبح الجند على غيظ وحنق، فلبسوا السلاح وضربوا الدبادب كما يفعل في الحرب، ودخلوا الكرخ ووقعت النار فاحترق من الدقاقين إلى النحاسين وبعض باب المساكين وسائر الأبواب التي كانوا يتحصنون بها، ونهبت الكرخ ، ومضى المرتضى مستوحشا مما جرى إلى دار الخليفة فانحدر الأصفهلارية، وسألوا التقدم إليه بالرجوع، فخلع عليه ثم تقدم إليه بالعود، ثم حفظت المحال واشيعت المصادرات، وقرر على الكرخ مائة ألف دينار.[5]

وفي عام 419 هـ اجتمع الغلمان وتحالفوا، وتحالفوا على اتفاق الكلمة، وأخرجوا الخيم، وأخرجوا أكابر الأصفهلارية معهم، فخرجوا ثم أنفذوا يوم الأحد جماعة إلى دار الخلافة برسالة يقولون فيها : نحن عبيد أمير المؤمنين، وهذا الملك متوفر على لذاته لا يقوم بأمورنا ونريد أن توعز إليه بالعود إلى البصرة، وإنفاذ ولده ليقيم بيننا نائبا عنه في مراعاتنا، فأجيبوا ووعدوا بمراسلة جلال الدولة، وأنفذ إليه المرتضى، وأبا الحسن الزينبي، وأبا نصر المصطنع برسالة تتضمن ما قالوه، فقال : كل ما ذكروا من اغفالنا لهم صحيح، ونحن معتذرون عفا الله عما سلف، ونحن نستأنف الطريقة التي تؤدي إلى مرادهم، فلما بلغهم ذلك، قالوا : فإذا نحن مطيعون إلَّا أننا نريد ما وعدنا به عاجلا قبل دخولنا إلى منازلنا . [6]

الشريف المرتضى وثوران الفتنة بين أهل الكرخ وأهل القلائين

وفي يوم عيد الفطر : ثارت الفتنة بين أهل الكرخ وأهل القلائين فاشتدت ووقع بينهما جرح وقتل ونقل أهل القلائين آخر السور الَّذي على سوق الأنماط فاستعملوه في بنائهم وجعل مع كل جهة قوما من الأتراك يشدون منهم وامتنع على السلطان الإصلاح وعمل أهل القلائين بابا آخر دون بابهم وسقفوا ما بينهما وبنوا دكاكين جانبيها وفرشوا الحصر وعلقوا القناديل وخلقوا الحيطان وأظهروا عمل ذلك مسجدا وأذنوا للصلوات فيه وسمي الباب المسعود وبطلت الأسواق ودعي أبو محمد الحسن بن ابي الفضل النسوي صاحب شرطة بغداد (ت452هـ) ورسم له العبور إلى الجانب الغربي وإزالة الفتنة فقتل جماعة من المذكورين وانتهى إلى الخليفة أن القضاة أبا الحسن احمد بن محمد بن احمد السمناني وأبا

الحسن محمد بن محمد بن عبد الله بن احمد البيضاوي البغدادي وأبا عبد الله محمد بن علي بن محمد الدامغانيّ وابن الواثق وابن المحسن الوكيلين حضروا عند القاضي أبي القاسم علي بن المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم التنوخي (ت447هـ) وجرى ذكر أهل الكرخ وما عملوا فقال التنوخي : هذه طائفة نشأت على سب الصحابة وما منعت منه إلا وجدت به ولا كان لدار الخلافة أمر عليها فما تحاول الآن منها واني لا ذكره وأنا أحمل رقاع ابن حاجب علي بن عبد العزيز بن ابراهيم بن بيان بن داود النعمان (ت 425هـ)عن دار الخلافة القادرية إلى الرضي فلا يفضها ويقول إن كانت لك حاجة قضيتها فلما قام أخوه المرتضى أظهر الطاعة حفظا لنعمته فكتب الوكيلان بما جرى إلى الديوان وشهد بذلك الشهود فتقدم بما وقف عليه زعيم الملك علي بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم الوزير فكاتب الخليفة وسأله في الصفح عن التنوخي فوقع الاقتصار على أن كتب رئيس الرؤساء إلى قاضي القضاة ليتوقف قاضي القضاة الحسين ابن علي عن استماع شهادة التنوخي وليوعز عليه بملازمة منزله إلى أن يكشف عن حاله ثم لم يزل يسأل فيه حتى اذن له في الشهادة ودخول الديوان. [7]

وعندما توفى القادر بالله سنة 422هـ و نصب للخلافة ابنه القائم بأمر الله أبا جعفر عبد الله و الذي قد كان أبوه بايع له بالعهد في السنة التي قبلها، وأول من بايعه الشريف المرتضى .[8] وانشده ابياتا من الشعر.[9]

ويبدو انه عندما وفاة القادر و حضور الأشراف والقضاة والفقهاء والأماثل، حفظت أبواب البلد مخافة الفتنة، وخروج القائم بأمر الله وقت العصر من وراء ستر الذي صلى بالحاضرين المغرب، وصلى بعدها على القادر فكبر أربعا، ثم جلس في دار الشجرة على كرسي وعليه قميص ورداء، فبايعه الناس، فكان يقال للرجل تبايع أمير المؤمنين القائم بأمر الله علي الرضا بإمامته، والالتزام بشرائط طاعته، فيقول : نعم ويأخذ يده فيقبلها، وأول من بايعه المرتضى .[10]

وهنا قد نسال هل الشريف المرتضى كان على قناعة تامة وايمان راسخ بفحوى ما قدم من نص البيعة. كما انه لم يغفل مناسبات البيت العباسي الحزينة فعندما توفى ابن الإمام القادر عبد الله أحمد القادر إسحاق بن المقتدر جعفر بن أحمد المعتضد بن محمد بن جعفر المتوكل توفي سنة ثماني عشرة وأربعمائة وصلى عليه أبو جعفر أخوه وكبر أربعا ودفن في

الرصافة حيال أخيه الغالب بالله وله اثنان وعشرون سنة وأربعمائة وأربعة أشهر واثنا عشر يوما وقال الشريف المرتضي يرثيه بقصيدة بائية جاء منها:

ما في السلو لنا نصيب يطلب الحزن أقهر والمصيبة أغلب

لك يا رزية من فؤادي زفرة لاتستطاع ومن جفوني صيب. (11)

الشريف المرتضى و حلف الملك للخليفة يميناً

وقد بلغ من الاهمية بمكان انه في ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة[12] انه حلف الملك للخليفة يميناً حضرها المرتضى وقاضي القضاة، وركب الوزير أبو القاسم بن المسلمة من الغد، فحضر عند الخليفة هو والمرتضى والقاضي، فحلف للملك وهي :" أقسم عبد الله أبو جعفر القائم بأمر الله بالله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب المدرك المهلك، عالم السر والعلانية، وحق رسول الله صلى الله عليه سلم، وحق القرآن الكريم، لأقيمن لركن الدين جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة أبي نصر على إخلاص النية والصفاء بما يصلح حاله، ويحفظ عليه مكانه، ولأكونن له على أفضل ما يؤثر من حراسته، ولوزير الوزراء أبي القاسم وسائر حاشيته، وإقراره على رتبته . له بذلك عليّ عهد الله وميثاقه، وما أخذ على ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، والله يشهد عليّ . وهذه اليمين مني والنية فيها بنية جلال الدولة" .[13]

لنقف عند هذه الرواية التاريخية قليلا لنرى الوضع الذي كانت تعيشه الخلافة العباسية ليس مأساويا فحسب، وانما في غاية المأساة بحيث ان مسألة الحلف وقطع الايمان كانت قائمة على قدم وساق.هذا من جانب ومن جانب اخر ان السلطة لا تكتفي بهذا الشيء وانما تعمل على احضار شخصية بارزة ومرموقة مثل الشريف المرتضى .الذي لم يحضر هو بنفسه وانما تم احضاره مع الوزير والقاضي، ولم يكن سواهم من الشهود، ولعل في ذلك ما يلفت الانتباه ايضا الى ان هذه النخبة التي تم اختيارها على الحضور لمثل هذا الحدث كانت من الجلال والتقدير ما يستغنى عن غيرها.

ومن جانب ثالث ان المرتضى لم يبتعد عن الواقع السياسي سواء بمشيئته ام برغبة من السلطة الحاكمة آنذاك. وما كان منه الا الحضور لازالة اسباب الشك في نفس السلطة ممن حولها من رجالات السياسة .وانطلاقا منه بتقديم ما يمكنه لحل المتعرقل من المسائل كان وجوده بتلك الحادثة . والمسألة الاساسية التي لا بد ان نشير اليها ان الشريف

المرتضى هو بمثابة قائد ميداني يدور مع الاحداث لا يمكنه ان يغفل عما يحدث. ولعله بهذه المواقف ومثيلاتها يخفف من سوء الوضع الذي كان الفرد يعيشه .

وكان الخليفة قد أنكر على المرتضى والزينبي وقاضي القضاة حضورهم بلا إذن، عندما جمع الوزير المغربي ابو القاسم الحسين بن علي بن الحسين هذه النخبة ليشهدوا على الأتراك والمولدين الذي سبق وان تم حضورهم ليحلفوا لمشرف الدولة واستدعوا إلى دار الخلافة، فظن الخليفة أن التحالف لنية مدخولة في حقه، فبعث من دار الخليفة من منع الباقين بأن يحلفوا، وعزم الخليفة على الركوب وتأدى ذلك إلى مشرف الدولة، وانزعج منه، ولم يعرف السبب فيه فبحث عن ذلك إذا به اتصل بالخليفة أن هذا التحالف عليه، فترددت الرسائل باستحالة ذلك، وانتهى الأمر إلى أن حلف مشرف الدولة على الطاعة والمخالصة للخليفة، وكان وقوع اليمين في يوم الخميس الحادي عشر من صفر سنة خمس عشرة وأربعمائة . (14)

امر الخليفة القادر بالله بعمل محضر يتضمن القدح في نسب الدولة العبيدية

ان النقابة العامة تعد بمنزلة منصب ديني وقيادي رفيع، يتولى فيه النقيب تمثيل افراد طائفته سياسيا، ويقوم بادارة شؤونهم، والحكم بينهم والدفاع عن حقوقهم وعن انسابهم .(15) لذلك فأن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي وابنه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضي أبي الحسن .

"وقال القادر للنقيب أبى أحمد : قل لولدك محمد : أي هوان قد أقام عليه عندنا ! وأي ضيم لقى من جهتنا ! وأي ذل أصابه في مملكتنا ! وما الذي يعمل معه صاحب مصر أكثر من هذا ما نظنه كان يكون لو حصل عنده الا واحدا من أبناء الطالبيين بمصر فقال النقيب أبو أحمد اما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه ولا يبعد ان يكون بعض أعدائه نحله إياه وعزاه إليه . فقال القادر: إن كان كذلك فلتكتب الان محضرا يتضمن القدح في أنساب ولاه مصر ويكتب محمد خطه فيه .

فكتب محضرا بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب أبو أحمد وابنه المرتضى وحمل المحضر إلى الرضى ليكتب خطه فيه حمله أبوه وأخوه فامتنع من سطر خطه وقال لا اكتب وأخاف دعاه صاحب مصر وأنكر الشعر وكتب خطه وأقسم فيه انه ليس بشعره وانه لا يعرفه فأجبره أبوه على أن يكتب خطه في المحضر فلم يفعل وقال :أخاف دعاه المصريين وغيلتهم لي فإنهم معروفون بذلك فقال أبوه يا عجباه ا تخاف من

بينك وبينه ستمائة فرسخ ولا تخاف من بينك وبينه مائه ذراع وحلف الا يكلمه وكذلك المرتضى فعلا ذلك تقيه وخوفا من القادر وتسكينا له ولما انتهى الامر إلى القادر سكت على سوء أضمره وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة وولاها محمد بن عمر النهر سايسي"[16] كان المرتضى واضح الانسجام مع عقيدته يوم وقع على محضر بطلان نسب الفاطميين في مصر .[17]

لقد سجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من أعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى – كما ذكرنا– وابن البطحاوي ومن العلماء أبو حامد الإسفراييني والقدوري والصيمري وابن الأكفاني والأبيوردي وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من أعلام الأمة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين وأربعمائة في أيام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الأخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه. [18]

يبدو لنا ومن خلال نظرة خاطفة ان هذه الحادثة تشير الى انخراط الشريف المرتضى في الوسط السياسي حتى في حياة والده .وان لهم من القيادة العامة شان جليل .وهذا بطبيعة الحال نابع من توليهم منصب كمنصب النقابة وغيرها من المناصب التي هي بتماس مع الافراد.

الشريف المرتضى وحادثة جامع براثا

ان كثيرا من الحوادث التاريخية تدل على ان للشريف المرتضى وجاهته الاجتماعية، وما كان يتمتع به من رجاحة العقل وبعد النظر ونفاذ البصيرة والهيبة ونفوذ الكلمة في الاوساط السياسية والشعبية.[19]

ففي سنة 424هـ جمع القادر بالله كتاباً، فيه وعظ ووفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقصة ما جرى لعبد العزيزالمكي صاحب الحيده بفتح الحاء والدال المهملتين وسكون المثناة من تحت بينهما وفي آخره هاء مع بشر بن غياث بن ابي كريمة ابو عبد الرحمن المريسي، والرد على من يقول بخلق القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسب الرافضة، وغير ذلك . وجمع له الأعيان والعلماء ببغداد، فقرأ على الخلق، ثم أرسل الخليفة إلى جامع براثا وهومعروف بارتياد الرافضة له من أقام الخطبة على السنة، فخطب، وقصر عما كانوا يفعلونه في ذكر علي رضي الله تعالى عنه، فرموه بالآجر من كل ناحية، فنزل

وحماه جماعة، حتى أسرع بالصلاة، فتألم القادر بالله وغاضبه ذلك، وطلب الشريف المرتضى شيخ الرافضة وكاتب السلطان وزيره ابن ماكولا هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن ابي دلف العجلي يستنكر على الشيعة . [20]

مما لا شك فيه ان الخليفة كان مدركا تماما ان للمرتضى موقع القيادة البارز في مثل هذه الازمات وله القوة الفاعلة بين جميع الاوساط لا سيما ابناء طائفته والقدرة والقابلية الموجهة لهم . لذا فهو – الخليفة– لم يتوان في رفع هذه القضية الى شيخهم . ولنعود الى ما ترتب على هذا الحدث من امور جمع الخليفة الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء في دار الخلافة اذ لم يحضر خطيب ولا حضر صاحب معونة، فلما طال الانتظار قيل لأحد المؤذنين في الموضع تقدم فصل، فتقدم وكبر في أول ركعة ما لم يضبط عدده حيرة ودهشا، وسجد قوم ولم يسجد قوم، وكبر في الركعة الثانية تكبيرة أو تكبيرتين، ووقعت الصيحة فظن أنها من فتنة فانزعج الناس واختلطوا وانقطعت الصلاة، وكان سبب انقطاع الخطباء عن هذا الموضع ما سبق ذكره عن أبي منصور بن تمام الخطيب، وغيظ الخليفة في أن لم يفعل مقابلة ذلك لما كتب وأمر به، ثم اجتمع بعد هذا قوم من مشايخ أهل الكرخ، فصاروا مع الشريف المرتضى إلى دار الخلافة، فأحالوا على سفهاء الأحداث فيما جرى على الخطيب، وسألوا الصفح عن هذه الجناية، وأن لا يخلي عن هذا المسجد من المراعاة وإقامة الخطبة فيه، فأقيم لهم خطيب وعادت الصلاة في مسجد براثا منذ يوم الجمعة غرة المحرم بعد أن عملت للخطيب نسخة يعتمدها فيما يخطب وإعفاؤهم الخطيب من دق المنبر بعقب سيفه، ومن قوله : « اللَّهمّ أغفر للمسلمين ومن اعتقد أن عليا مولاه » . [21]

من الجدير بالذكر ان الشريف المرتضى سارع لحل ملابسات هذا الموقف بذكاء ودراية تنم عن خبرة في العمل مع السلطان لا سيما اذا كان جائرا من جهة والعمل على ديمومة الحياة في مسجد براثا .ولكي يتوغل اكثر اتخذ عددا من التدابير التي من شانها ان تحافظ على مسيرة الحياة والنشاط فيه– المسجد– منها:

1– الذهاب الى دار الخلافة ليس بمفرده وانما مع نخبة من مشايخ اهل الكرخ.وهو بهذا يوضح ان المسؤولية يجب ان يقودها النخبة العاقلة التي بامكانها ان تمنع ضررا عن طريق تصريح قد تصدره السلطة المتعنتة غيلة ونكاية بهذه الطائفة.

2– احالة الارباك الذي حصل في المسجد لسفهاء دون غيرهم لذا فمن الاسلم ان لا يؤخذ الاخرون بما يفعله سفهاؤهم .

3- حتى في مثل هذه الاوقات لم يتخل الشريف عن الجناة – ان صح عملهم- فهو يطلب من الخليفة الصفح عنهم

4- ان الحل الذي قدم للسلطة كان في غاية البساطة وعدم التكلف، يتلخص في هذا الجزء البسيط من الرواية (عملت للخطيب نسخة يعتمدها فيما يخطب وإعفاؤهم الخطيب من دق المنبر بعقب سيفه، ومن قوله : « اللَّهمّ أغفر للمسلمين ومن اعتقد أن عليا مولاه»).

5- ما هي نتيجة هذا العمل؟ النتيجة ان عادت الصلاة في مسجد براثا منذ يوم الجمعة غرة المحرم .وبهذا فهو قد عمل جاهدا وبذكاء ان يكافح عمل السوء سواء من قبل الخليفة الذي اراد ان يعطل المسجد او من اؤلئك الافراد الذين ارتكبوا من الحماقات ما ارتكبوها.

ولعل الشريف المرتضى قد نوه الى عملية التعامل مع السلطان من خلال مسالة بهذا الشان عندما قال : "فإن قيل : كيف تكون الولاية من قبل الظالم حسنة ؟ فضلا عن واجبة، وفيها وجه القبح ثابت، وهو كونها ولاية من قبل الظالم، ووجه القبح إذا ثبت في فعل كان الفعل قبيحا وإن حصلت فيه وجوه أحسن. ألا ترى أن الكذب لا يحسن وإن اتفقت فيه منافع دينية كالألطاف تقع عندها الإيمان وكثيرا من الطاعات . قلنا : غير مسلم أن وجه القبح في الولاية للظالم هو كونها ولاية من قبلها، وكيف يكون ذلك ؟ ! وهو لو أكره بالسيف على الولاية لم تكن منه قبيحة، فكذلك إذا كان فيها توصل إلى إقامة حق ودفع باطل يخرج عن وجه القبح . ولا يشبه ذلك ما يعترض في الكذب مما لا يخرجه عن كونه قبيحا، لأنا قد علمنا بالعقل وجه قبح الكذب، وأنه مجرد كونه كذبا، لأن هذه جهة عقلية يمكن أن يكون العقل طريقا إليها . وليس كذلك الولاية من قبل الظالم، لأن وجه قبح ذلك في الموضع الذي يقبح فيه شرع ، فيجب أن يثبته قبيحا في الموضع الذي جعله الشرع كذلك . وإذا كان الشرع قد أباح التولي من قبل الظالم مع الاكراه، وفي الموضع الذي فرضنا أنه متوصل به إلى إقامة الحقوق والواجبات، علمنا أنه لم يكن وجه القبح في هذه الولاية مجرد كونها ولاية من جهة ظالم، وقد علمنا أن اظهار كلمة الكفر لما كانت تحسن مع الاكراه، فليس وجه قبحها مجرد النطق بها وإظهارها بل بشرط الايثار" .[22]

وعندما تعرضت دار المرتضى في سنة 416 هـ التي على الصراة لغارة من قبل العيارين شنوها على البيوت الآمنة، فاحترقت داره، وهدم هو باقيها، وانتقل منها إلى دار في درب جميل . وفي أثناء الحملة أنفذ الملك شرف الدولة ابن بهاء الدولة جميع غلمان

داره من الأتراك لحمايتها وحفظ ما فيها . ولم يعد إليها الشريف إلا بعد إعادة عمارتها، وبعد أن خرج توقيع الخليفة بذهاب قادة الجيش والوجوه إلى بيته، فمشوا مهطعين بين يديه، وهم ينشدون الأهازيج في مدحه والثناء عليه . وكان صنيع الخليفة هذا مما سارت به الركبان، وتناقلته الرواة .[23]

ان هذه الرواية تشير الى ان موقف الخليفة العباسي تجاه الشريف المرتضى وما يشغله الاخير من منزلة استدعت من الخليفة ان يصدر امرا بتوقعيه كي يذهب قادة الجيش والوجوه إلى بيته .وانظروا كيف يكون ذهابهم اليه ؟ يكون على هيئة المشي مهطعين بين يديه .وكيف هو حالهم ؟ينشدون الأهازيج .واية اهازيج ؟ انها اهازيج في مدحه كل ذلك انما جاء للثناء عليه كنتيجة مباشرة لعظم منزلته وكبرمقامه .

ولعل هذا التكريم المهيب ما هو الا جزء يسير للتعويض عما لاقاه الشريف من المعاناة .وعادة ما يكون مثل هذا الموقف من الخليفة محط اهتمام الاخرين بحيث لكثرة المبالغة فيه اثار الاعجاب ولفت الانتباه بحيث اضحى عمل الخليفة هذا مما تناقلته الرواة وسارت به الركبان .

لقد بنى الشريف المرتضى علاقة وثيقة بالخلافة العباسية وحظي باحترام الخلفاء العباسيين في عصره. وعندما اشتهر على ألسن العلماء أنّه لمّا اتّفقت فقهاء العامة على حصر المذاهب الفقهية الإسلامية التي تعدّدت وتشعّبت من زمان الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى عصر السيد المرتضى في مذاهب معيّنة، التقى السيد المرتضى بالخليفة وتعهّد له أن يأخذ من الشيعة مائة ألف دينار حتى ترفع التقيّة والمؤاخذة على الانتساب إليهم، فتقبّل الخليفة ؛ ثمّ إنّه بذل لذلك من عين ماله ثمانين ألفاً، وطلب من الشيعة بقية المال[24].

يبدو لنا من هذه الرواية عدد من الامور التي تستوجب منا وقفة حقيقية ولعل من بينها ما يأتي:

1- ان هناك اتّفاقا بين فقهاء العامة على حصر المذاهب الفقهية الإسلامية التي تعدّدت وتشعّبت ولفترة طويلة امتدت من زمان الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى عصر السيد المرتضى.لاسيما وان عصره كان زاخرا بالتطور بكافة فنون المعرفة .

2- اعتبر الشريف المرتضى ان مسألة رفع التقيّة والمؤاخذة على الانتساب إلى الشيعة انجاز بحد ذاته اخذ يسعى لجعل مشروعه قيد التنفيذ على ارض الواقع، حتى لو تعهّد

للخليفة بتقديم المال والذي كان مقداره مائة ألف دينار مقابل رفع التقيّة والمؤاخذة على الانتساب إليهم.

وهو بهذا يضع حدا لحالة الانغلاق على هذا المذهب التي فرضت عليه قسرا وينهي صراعه الذي طال امدا طويلا، وفتح حالة النشاط والحيوية امامه والتحرك الحر بكافة مجالاته .

3- انطلاقا من الشعور بالمسؤولية وايمانا بضرورة رفع التقية، فان المرتضى سعى لشراء هذا المشروع .نعم ، شراء هذا المشروع .

لا والا ماذا نفهم من انه طلب من الخليفة أن يأخذ من الشيعة مائة ألف دينار حتى ترفع التقيّة والمؤاخذة على الانتساب إليهم .نرى ان لفظة شراء في محلها .لا سيما وان الشريف كان كثيرا ما يسعى وبطرق شتى الى ابعاد العديد من ابناء طائفته من دائرة التبريرات والاعذار، ويحاول جاهدا ان يتخلص من تبعات مسالة التقية ولو بالاعتماد على المال.

4- قبّول الخليفة هذا المشروع .لا سيما وانه قد قدم مع مبلغ مالي مغر.

5- كان الشريف مخلصا في نيته غاية الاخلاص فهو لم يتعهد بانه سيتكفل بدفع المبلغ من ماله الخاص، او انه سيعمل على دفع الجزء الاكبر من ماله الخاص وانما اورد عبارة نصها " أن يأخذ من الشيعة مائة ألف دينا ر" اليس هذا الموقف ما هو الا واحد من ابرز تلكم المواقف المميزة التي اشتهر بها الشريف.

فقد بذل لذلك من عين ماله الخاص ثمانين ألفاً، وطلب من الشيعة بقية المال .وهو بهذا يحاول قدر استطاعته ان يخفف عن ابناء طائفته ما امكنه .

حتى انه استخدم عباراته بغاية الدقة المتناهية بان من يدفع المال هم"الشيعة"وكأن كل الشيعة هو وهو كل الشيعة، وبهذا كان في غاية المسؤولية التي كانت دأبه المتواصل، والتي لم ينفك عنها طول حياته.

المبحث الثاني :-الشريف المرتضى والسلطة البويهية:

سياسة الاندماج عند الشريف المرتضى في ظل التسلط البويهي:

عند الحديث عن نشاط ودور الشريف المرتضى مع البويهين سواء كانوا امراء ام وزراء، نرى من الضروري ان نبدأ بكلام الشريف في مسألة العمل مع السلطان، لتتوضح الصورة بشكل جلي.

"ان العمل مع السلطان مسألة وضحها الشريف المرتضى عندما جرى في مجلس الوزير السيد الأجل أبي القاسم الحسين بن علي المعري في جمادى الآخرة سنة 415هـ كلام في الولاية من قبل الظلمة، وكيفية القول في حسنها وقبحها، فاقتضى ذلك إملاء مسألة وجيزة يطلع بها على ما يحتاج إليه في هذا الباب " وإنما الكلام في الولاية من قبل المتغلب، وهي على ضروب : واجب وربما تجاوز الوجوب إلى الالجاء، ومباح، وقبيح، ومحظور . فأما الواجب : فهو أن يعلم المتولي، أو يغلب على ظنه بأمارات لائحة، أنه يتمكن بالولاية من إقامة حق، ودفع باطل، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر . ولولا هذه الولاية لم يتم شئ من ذلك، فيجب عليه الولاية بوجوب ما هي سبب إليه، وذريعة إلى الظفر به . وأما ما يخرج إلى الالجاء، فهو أن يحمل على الولاية بالسيف، ويغلب في ظنه أنه متى لم يجب إليها سفك دمه، فيكون بذلك ملجأ إليها . فأما المباح منها : فهو أن يخاف على مال له، أو من مكروه يقع به يتحمل مثله، فتكون الولاية مباحة بذلك ويسقط عنه قبح الدخول فيها . ولا يلحق بالواجب، لأنه إن آثر تحمل الضرر في ماله والصبر على المكروه النازل به ولم يتول، كان ذلك أيضا له . فإن قيل : كيف تكون الولاية من قبل الظالم حسنة ؟ فضلا عن واجبة، وفيها وجه القبح ثابت، وهو كونها ولاية من قبل الظالم، ووجه القبح إذا ثبت في فعل كان الفعل قبيحا وإن حصلت فيه وجوه أحسن . ألا ترى أن الكذب لا يحسن وإن اتفقت فيه منافع دينية كالألطاف تقع عندها الإيمان وكثيرا من الطاعات . قلنا : غير مسلم أن وجه القبح في الولاية للظالم هو كونها ولاية من قبلها، وكيف يكون ذلك ؟ ! وهو لو أكره بالسيف على الولاية لم تكن منه قبيحة، فكذلك إذا كان فيها توصل إلى إقامة حق ودفع باطل يخرج عن وجه القبح . ولا يشبه ذلك ما يعترض في الكذب مما لا يخرجه عن كونه قبيحا، لأنا قد علمنا بالعقل وجه قبح الكذب، وأنه مجرد كونه كذبا، لأن هذه جهة عقلية يمكن أن يكون العقل طريقا إليها . وليس كذلك الولاية من قبل الظالم، لأن وجه قبح ذلك في الموضع الذي يقبح فيه شرع، فيجب أن يثبته قبيحا في الموضع الذي جعله الشرع كذلك . وإذا كان الشرع قد أباح التولي من قبل الظالم مع الاكراه، وفي الموضع الذي فرضنا أنه متوصل به إلى إقامة الحقوق والواجبات، علمنا أنه لم يكن وجه القبح في هذه الولاية مجرد كونها ولاية من جهة ظالم، وقد علمنا أن اظهار كلمة الكفر لما كانت تحسن مع الاكراه، فليس وجه قبحها مجرد النطق بها وإظهارها بل بشرط الايثار ".[25]

قد يتبادر الى الذهن عدد من التساؤلات، ولعل من بينها ما هو هدف الشريف المرتضى الحقيقي من وراء اندماجه بالحياة الاجتماعية والسياسية وقبلها بالحياة العلمية والفكرية في ظل التسلط البويهي؟

لعل الجواب يكمن في ان شخصية الشريف المرتضى نفسها التى كانت عازمة على بناء علاقات قائمة على اسس صحيحة حتى مع رجال التسلط البويهي، لا سيما وان الاخيرين كانوا قد اعترفوا بفضل المرتضى ومقامه ومكانته بالمجتمع .هذا من جانب، ومن جانب اخر سنرى ان المرتضى بعلاقته مع رجال السلطة البويهية من ملوك وسلاطين ووزراء وغيرهم لم يقف مع باطل فعلوه ابدا وانما كان غالبا ما تدفعه نزعته الاصلاحية الى تقويم عملهم كلما سنحت الفرصة الى ذلك.

وان وشائج العلاقات التي سعى الى ترسيخها اثمرت عن اواصر ايجابية تنم عن تفاعل المجتمع . فقد نراه قد حج في عام 394هـ ومعه أخوه مع الوزير الحسين بن الريان، و قد انتهز الفرصة الى أن يملى مجالسه وهو في طريق الحج . [26] ووصل الامر الى ان يتولى عقد قران السلطان مشرف الدولة بابنة علاء الدولة بن كاكويه في سنة 415 هـ . [27]

وان جزء بسيطا يمكن ان نذكره عن حالة التعايش السلمي التي عاشها المرتضى مع رجال السلطة في عصره بانه كان يصطحب الملك جلال الدولة واخاه الرضي في سمارية* على شاطئ دجلة ببغداد ومعهما ابي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت392هـ) و أبو الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي البغدادي (ت 420هـ) وكان فكها كثير الدعابة.[28]

وكأن هذه المجموعة التي حملتها السمارية من رجال علم ودين ومنزلة اجتماعية متمثلة بالشريفين، ورجال سلطة متمثلة بالملك جلال الدولة، ونخبة من رجال الفكرمتمثلة بعثمان بن جني النحوي و أبي الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي تقول :ان الحكمة تقتضي ان تكون ادارة الدولة بهذه الفئات مجتمعة ولا لانفراد وتسلط فئة على حساب فئة اخرى.وانه لا بد من توجيه بعض لبعضهم الاخر للوصول الى بر الامان .

ونلاحظ ان السلطة كانت تشارك الشريف هي الاخرى في المواقف التي يمر بها وتآزره في النكبات التي يمر بها فعلى سبيل المثال عند وفاة الرضي اخي المرتضى بكرة يوم الأحد لست خلون من المحرم سنة ست وأربعمائة، حضر الوزير فخر الملك وجميع الأعيان والاشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه، ودفن في داره بمسجد الأنباريين بالكرخ،

كان أخوه المرتضى قد مضى من جزعه إلى مشهد الامام موسى الكاظم عليه السلام ، لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته، ودفنه وصلى عليه فخر الملك أبو غالب، مع جماعة أمهم أبو عبد الله بن المهلوس العلويّ، ومضى بنفسه آخر النهار إلى المرتضى في مشهد الامامين الكاظمين 8، فعزى المرتضى وألزمه العود إلى داره[29].

لذلك نرى ان تركيبة الاوضاع بشكل عام دفعت او خلقت نوعا من توثيق العلاقات بين الكثير من الاطراف السياسية لئن يشارك بعضهم مع بعض في رسم نوع الارتباط. **ويبدو** ان مكانة المرتضى عند فخر الملك لم تكن عادية ابدا وانما هي اكثر من ذلك بحيث يتولى مهام المرتضى تجاه دفن الشريف الرضى بدلا عنه تقديرا منه لما كان المرتضى يعانيه من الم فراق اخيه .ويكمل دوره بان يذهب هو بنفسه لارجاع المرتضى الى داره بعد ان قدم له التعزية .

وفي سنة 406هـ قلد الشريف المرتضى نقابة الطالبيين والحج والمظالم بعد موت أخيه الشريف الرضي بإشارة سلطان الدولة فخر الملك.[30] وتقلد جميع ما كان لأخيه الرضي، وحضر جمع من الناس لقراءة عهده في الدار الملكية وحضر فخر الملك بنفسه والأشراف والقضاة والفقهاء.[31]

فقد كانت علاقة المرتضى بفخر الملك وثيقة جدا – كما اسلفنا–، وكانت العواطف المتبادلة بينهما لا نظير لها في كل من عرفت للسيد صلة به .ومدحه بقصائد جياد تنيف على عشرين قصيدة، وعند ما قتل فخر الملك جزع عليه السيد جزعا شديدا ورثاه بقصائد اربع، لم يرث بمثلها خليفة او ملك اوصديق ، حتى اذا قدم سلطان الدولة بن بهاء الدولة الى بغداد طلب منه ان يقول الشعر ملحا معاودا، فاعتذر بما سبق ان عزم عليه: من ترك الشعر بعد فخر الملك، ولكنه حمله على قوله بمعاودة الاصرار.[32]

اذن نظرا لمكانة فخر الملك في نفس الشريف وشدة جزعه لما انتهى اليه ما كان من المرتضى الا ان يترك جانب من جوانب ابداعه وسلاح من اسلحته التي غالبا ما كان يشهره للتعبير عن مكنونات نفسه الا وهو الشعر الذي هو في الوقت ذاته متنفس له عما كانت البلاد تعاني منه من الاضطرابات .

ورب سائل يسأل لماذا اصر سلطان الدولة بن بهاء الدولة على الشريف ان يقول الشعر الا يوجد غيره من الشعراء البارعين ؟ ليس هذا فحسب الا تستوقفنا حالة الاصرار

والالحاح من قبله ولم يكتف بالطلب فقط. لعل هناك تساؤلا وتساؤلا حول هذه النقطة .ولا يمكننا ان نجيب باكثر من كلمة واحدة الا وهي (انها السياسة).

كما ان ديناميكية المرتضى كانت قد دفعته الى الاستجابة لسؤال الوزير ابي علي الحسن بن حمد، ان يجمع له مختار الشعر في الشيب ما تناله القدرة، وتنتهي اليه الخبرة ؛ اذ كان الناس قد جمعوا في ذلك الكثير من غث وسمين، وكريم وهجين؛ فكان الجواب كتابه (الشهاب في الشيب والشباب).

فاطرى الوزير على عمله، واراد الاستفادة من المرتضى والاستزادة من علمه بان يطلب منه كتابا في اوصاف طيف الخيال، فلم يخيب رجاءه على ما هو فيه من ضيق وقت وكلال فكر فجمع الكتاب وقدمه له .يبدو ان هذا الوزير كان على صلة بالمرتضى .وهذا ما نلاحظه من خلال كلام المرتضى نفسه اذ يقول:[33] "ومن بعد، فانني وقفت على ما ذكرته – امدك الله بتوفيقه وتسديده – من شغفك بما اطلعت عليه من كتابي في الشيب واعجابه لك واطرابه اياك، وانك استغزرت فائدته، واستغربت طريقته، ودعاك ما وقفت عليه منه الى التماس كتاب اوصاف طيف الخيال نسلك فيه هذا المنهج، ونخرجه هذا المخرج " .[34] ويستمر قائلا: "وقد رايت الاجابة الى سؤلك، على ضيق زماني وقلبي، وكلال فكري، وكثرة هموم صدري ".[35]

وهنا لنقف قليلا على موقف المرتضى والوزير معا، ان عطاء الشريف في هذا الموقف ما هو الا واحد من عدد غير قليل من المواقف التي عرف بها المرتضى من مثيلاتها وكان لسان حاله يقول اني لا استطيع رد طلب في ميدان من الميادين المتعددة التي برع فيها، بالرغم من كثرة انشغاله لاسيما وانه كان يتولى منصب النقابة وامارة الحج والمظالم وغيرها من الوظائف التي تحتاج منه ادارة محنكة، هذا من جانب ومن جانب اخر كثرة همومه الناجمة من ازدياد الاضطرابات والفتن التي يموج بها البلد، الا انه استجاب لطلب الوزير لا سيما وان الاخير كان قد اعجب بنتاج المرتضى وباسلوبه المميز في التاليف.

كما اننا نلاحظ بان البويهيين كانوا قد تفاضلو ا بالسعي على ابراز اعتدادهم بالشريف حتى ان بهاء الدولة كان قد لقب المرتضى بـ"ذا المجدين" [36]

اعترافاً منه بشرف نسبه، وبمجد الزعامة العلوية، وتنويهاً بما كان له من مقام كبير و وجاهة وهيبه له في النفوس، ولا يكون هذا الاعتراف العلني وهذا التنويه الصريح من ملك

قوي متسلط متنفذ ذي سطوة بالغة كبهاء الدولة الا لرجل يخشى جانبه وتهاب كلمته ويحسب لشأنه ولنفوذه وصولته حساب.(37)

اما سبب تسمية الشريف المرتضى بـ"علم الهدى" فهو ان الوزير أبا سعيد محمد بن آشين بن عبد الصمد مرض سنة 420هـ فرأى في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " وهو يقول له: قل لعلم الهدى يقرأ عليك حتى تبرأ فقال يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى ؟ فقال علي بن الحسين الموسوي فكتب الوزير إليه بذلك فقال المرتضى: الله الله في أمري فإن قبولي لهذا اللقب شناعة علي، فقال الوزير: ما كتبت إليك إلا بما لقبك به جدك أمير المؤمنين " عليه السلام " فعلم الخليفة القادر بذلك فكتب إلى المرتضى تقبل يا علي بن الحسين ما لقبك به جدك أمير المؤمنين قال فقبل واسمع الناس . (38)

يبدو لنا ان المرتضى لم يخضع لاغلال السلطة، وانما نجد العكس من ذلك فقد خضعت السلطة له بصورة مباشرة او غير مباشرة وما اغداق الالقاب الى الشريف الا احدى صور الخضوع، وان لم يكن المرتضى بحاجة الى تلك الالقاب الا انها من جانب اخر كانت قد عكست صفات وامورا هي في صميم تركيبته ولم تكن بعيدة عنه، في وقت اضحت الالقاب قد منحت لاصحابها بدون وجه حقيقي وما هي الا محاباة لهذا الشخص او ذاك .الا ان الشريف كان قد استحق هذه الالقاب وبجدارة وربما يستحق الاكثر .

وعلى ما يبدو ان الشريف المرتضى كان يحظى بمنزلة مرموقة عند السلطان مسعود بن بابويه . حتى انه مضى بالشاعر أبي عبد الله ابن الحجاج اليه فأكرمه وأنعم عليه وخصه بالرتب الجليلة .اعتذارا منه – المرتضى – عما بدر من نهيه عن انشاد هجائه في حضرة الامام علي عليه السلام . وللتوضيح اكثر سنسرد مجمل الحادثة التاريخية.

ان السلطان مسعود بن بابويه لما بنى سور المشهد الشريف ودخل الحضرة الشريفة وقبل أعتابها وأحسن الأدب فوقف الشاعر أبو عبد الله ابن الحجاج بين يديه وأنشد قصيدته الفائية فلما وصل منها إلى الهجاء أغلظ له الشريف سيدنا المرتضى ونهاه أن ينشد ذلك في باب حضرة الإمام عليه السلام فقطع عليه فانقطع، ولما جن عليه الليل رأى ابن الحجاج الإمام عليا عليه السلام في المنام وهو يقول : (لا ينكسر خاطرك، فقد بعثنا المرتضى علم الهدى يعتذر إليك فلا تخرج إليه حتى يأتيك) . ثم رأى الشريف المرتضى في تلك الليلة النبي الأعظم 6 والأئمة صلوات الله عليهم حوله جلوس، فوقف بين أيديهم وسلم عليهم فحس

منهم عدم إقبالهم عليه فعظم ذلك عنده وكبر لديه فقال : يا موالي! أنا عبدكم وولدكم ومواليكم فبم استحققت هذا منكم ؟ فقالوا : (بما كسرت خاطر شاعرنا أبي عبد الله ابن الحجاج فعليك أن تمضي إليه وتدخل عليه وتعتذر إليه وتأخذه وتمضي به إلى مسعود بن بابويه وتعرفه عنايتنا فيه وشفقتنا عليه) فقام السيد من ساعته ومضى إلى أبي عبد الله فقرع عليه الباب فقال ابن الحجاج : سيدي الذي بعثك إلي أمرني أن لا أخرج إليك، وقال : إنه سيأتيك . فقال : نعم سمعا وطاعة لهم . ودخل عليه واعتذر إليه ومضى به إلى السلطان وقصا القصة عليه كما رأياها فأكرمه وأنعم عليه وخصه بالرتب الجليلة وأمر بإنشاد قصيدته.[39]

هكذا يعطينا هذا الحدث على سبيل المثال بان الشريف المرتضى حاول جاهدا ان يقدم ما يمكنه من الاعتذار للشاعر ابن الحجاج، ولو لم يكن له من المقام السامي عند مسعود بن بابويه لما اخذ ابن الحجاج اليه وحصل ما اخذه من الاكرام والانعام، ويبدو ان قربه من الخلفاء والوزراء والامراء الذين حكموا، ومدحه اياهم او لمن اعلن ولاءه لهم، لم يكن في الحقيقة عن استسلام وخضوع او تنازل عن الحق، وانما كان نوعا من المهادنة والتعايش او التبادل الودي الذي كان يفرضه الواقع السياسي او الاجتماعي، مع الحفاظ على عزة الجانب وهيبة المقام.[40]

فقد امتدح الشريف المرتضى الوزير كمال الملك هبة الله بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم أبو المعالي كمال الملك الوزير أخو الوزير عميد الملك أبي سعد محمد كان كاتبا سديدا عارفا بأحوال الجند وسياستهم ولي الوزارة للملك جلال الدولة بن عضد الدولة بن بويه مرتين الأخيرة ثم ولي الوزارة للملك أبي كاليجار بن أبي شجاع بن أبي نصر بن عضد الدولة ثم لابنه أبي نصر . كان يميل إلى الدين والخير بقصيدتين وجهزهما إليه . **فلما أنشدت** للوزير، سر بذلك، وبلغ اعجاب الوزير غاية الاعجاب، وقال: هذا بعض حق الشريف المرتضى .[41] وعندما عاد جلال الدولة إلى بغداد بعد ان حقق انتصارات في واسط وجعل ابنه العزيز عليها ، مدحه المرتضى وهنأ ه بالظفر .[42]

يمكن ان نقول ان التنافس على استقطاب الشخصيات الاجتماعية ورجال المعرفة الذي رافق النزاع السياسي كان ذا اثر واضح في زيادة نفوذه اجتماعياً، وفي الارتقاء بمكانته العلمية والادبية، اذ تمكن من توثيق علاقاته بالاطراف المتنافسة او المتنازعة وكسب احترامها، وكانت هذه العلاقات بدورها عاملا في زيادة فرص احتكاكه بمصادر ثقافية رفيعة

المستوى، وفي زيادة نشاطاته في ميادين مختلفة من المعرفة.وقصائده التي نظمها في المبرزين من علماء عصره وادباء وامراء ووزراء وكبار الشخصيات في عصره، والكتب التي الفها تلبية لرغبة بعض رجال الدولة انذاك، يمكن ان تكون كلها ادلة على ما استطاع المرتضى ان يحقق من علاقات .[43]

يبدو ان من جملة شعره ومؤلفاته، ان الوزراء والقادة الذين الف لهم، او مدحهم، او رثاهم كانوا يشكلون واياه كتلة سياسية تعمل في حقل سياسي واحد، وليس بين ممدوحيه ومرثيه– استثنى العلماء من خلصائه– من لم يكن من هذه المجموعة العاملة، على دعم كيان ال بويه ممثلا بالتعاقب من الملك بهاء الدولة او الملك سلطان الدولة او الملك جلال الدولة.

وحين تختلف الاسرة البويهية وتحترب فيما بينها على السلطان – وطالما احتربت– يقف هذا النفر من كتلته في صف واحد، يواجهون الاحداث السياسية مجتمعين متعاونين، يعمل هذا سيفه، وذاك قلمه، وذاك رأيه، في سبيل العمل السياسي المشترك. فعندما فتك سلطان الدولة بوزيره فخر الملك –وكان من كتلة المرتضى– في العمل السياسي فثارت ثائرة المرتضى، على السلطان وانقطع عنه، ورثى صديقه الوزير المقتول بقصائد من شعره، ولم يعد للتعاون مع سلطان الدولة الا بعد ان وصل الى بغداد والح على المرتضى بالعدول عن موقفه، ولم يعدل المرتضى عن موقفه الا بعد ان انكشف له ان قتل فخر الملك كان اجتهادا مخطئا، ادى اليه وشاية بعض الناس.[44]

الشريف المرتضى في مواجهة الاضطرابات

في سنة 406هـ وعند وقوع فتنة بين العوام في غرة المحرم كان سببها أن أهل الكرخ جازوا بباب الشعير فتولع بهم أهله فاقتتلوا وتعدى القتال إلى القلائين، فأنفذ فخر الملك الشريف المرتضى وغيره، فأنكروا على أهل الكرخ ما يجري من سفهائهم، واستقر الأمر على كفهم، وشرط عليهم أن لا يعلقوا في عاشوراء مسوحا ولا يقيموا نوحا .[45]

لنتوقف قليلا عند رواية ابن الجوزي هذه .الم نذكر سابقا ان علاقة المرتضى بفخر الملك كانت من القوة والمتانة بحيث بنيت على اثرها صداقة متينة .فلماذا ارسل فخر الملك للمرتضى لينفذه مع جماعة لمعالجة هذه الفتنة؟ الا تثير فضول بعض منا ان مثل هذه المواقف تستدعي رجالا بارزين ومؤثرين لهم القابلية على حل المشاكل باقل ما يمكن من

الخسائر، وان الشريف قد زرع حالة الفصل بين العلاقات الشخصية التى تربطه برجال الدولة وبين العمل الميداني.ولربما ان ثقة فخر الملك بالشريف هي التي دفعته الى ان يوجهه الى اهل الكرخ لحل الازمة.

وفوق كل الذي ذكرناه ان الشريف المرتضى بما كان يحتله من مكانة مرموقة وما كان يقوم به من دور من خلال المناصب التي تقلدها دفعته الى العمل وبكل جرأة ان يضع حدا لمثل هذه الخروقات التي كانت تعصف بالبلاد وعدم السماح لمن يريد ان يستغلها با ن يتخذها فرصة لتحقيق مآربة الفاسدة وان لا يكونوا رهيني الفتنة .

الشريف المرتضى وحادثة تجديد البيعة:

كان المرتضى يدعى من قبل الخليفة او من قبل الحاكم البويهي، الى حضور المناسبات الهامة كالبيعة، او لتولية لحاكم معين، اواستقبال وفد سياسي عالي المستوى، او للتشاور في بعض القضايا السياسية والاجتماعية، وكان يدون تاريخ حضوره ويعتد به.[46]

ففي سنة 415هـ ألزم الوزير المغربي الأتراك والمولدين ليحلفوا لمشرف الدولة، وكلف مشرف الدولة المرتضى ونظام الحضرتين أبا الحسن الزينبي وقاضي القضاة، وأبا الحسن بن أبي الشوارب، وجماعة من الشهود الحضور، فأحلفت طائفة من القوم فظن الخليفة أن التحالف لنية مدخولة في حقه، فبعث من دار الخليفة من منع الباقين بأن يحلفوا، وأنكر على المرتضى والزينبي وقاضي القضاة حضورهم بلا إذن، واستدعوا إلى دار الخلافة، وسرح الطيار، وأظهر عزم الخليفة على الركوب وتأدى ذلك إلى مشرف الدولة، وانزعج منه، ولم يعرف السبب فيه فبحث عن ذلك إذا به أنه اتصل بالخليفة أن هذا التحالف عليه وان هذه البيعة لنية فاسدة من أجله، فترددت الرسائل باستحالة ذلك، واصطلحا وتصافيا، وجددت البيعة لكل منهما من الآخر .

أذن انتهى الأمر إلى أن حلف مشرف الدولة على الطاعة والمخالصة للخليفة، وكان وقوع اليمين في يوم الخميس الحادي عشر من صفر وتولى أخذها . [47]

الرواية التاريخية تشير الى واقع سياسي فاسد وبشدة والسلطة سواء كانت العباسية منها ام البويهية على حد سواء كانت تعاني من ازمة ثقة ملفتة للانتباه. فالوضع لا يشير الى اخذ البيعة لانها سبق وان اخذت وانما الموقف ما هو الا لتجديد البيعة.فما الدافع من وراء تجديد هذه البيعة ؟ الا يشير ذلك الى وصول الوضع السياسي الى غاية الازمة .هذا من جانب ومن جانب اخر نلاحظ هلع الخليفة بعد ان وصلته اخبار هذا التجمع وبحضور

شخصيات لعل من بين الابرز منها كان الشريف بحيث انكر عليه ومن معه الحضور الى هذا التجمع .

لكن السؤال ما موقف المرتضى من كل ذلك؟ يبدو ان الشريف كان قد ادرك وبصورة جلية ان التخلف عن الحضور سيجعله في مأزق هو في غنى عنه. وإلا لم كان موجودا اصلا. كما انه ادرك ان بحضوره ليس فيه اذية او الحاق الضرر بشخص الخليفة .وان وجوده لمثل هذا المحفل ما هو الا مظهر من مظاهر تقوية الحلف بوجود شخصيات بارزة وثقة مثل شخص الشريف وبوجوده ياخذ مشرف الدولة ضمانات تتحقق له الطمأنينة في وسط يعج بالاضطرابات .

و**كانت ثمة** امور طارئة يكلف بها الشريف المرتضى من مصدر كونه محور ثقة لدى العديد من الاوساط الاجتماعية . ففي سنة 415هـ أرسل الأتراك الشريف المرتضى ومعه أبو الحسن الزينبي وجماعة من قواد الأتراك يعتذرون الى الأثير عنبر الخادم ومعه الوزير ابن المغربي عندما توترت العلاقات بين الأثير عنبر الخادم ومعه الوزير ابن المغربي وبين الأتراك فاستأذن الأثير والوزير ابن المغربي الملك مشرف الدولة في الانتزاح إلى بلد يأمنان فيه على أنفسهما فقال : أنا أسير معكما فساروا جميعا ومعهم جماعة من مقدمي الديلم إلى السندية وبها قرواش* فأنزلهم ثم ساروا كلهم إلى أوانا . فلمّا علم الأتراك ذلك عظم عليهم وانزعجوا منه لهذا أرسلوا المرتضى وأبا الحسن الزينبي وجماعة من قواد الأتراك يعتذرون ويقولون ونحن العبيد، فسألوا الملك والأثير الانحدار معهم فأجابهم إلى ذلك وانحدروا جميعهم .[48]

لم يدخر المرتضى بدا في مثل هذه المواقف ومثيلاتها، ولعلها زادته نشاطا منبثقا من قيمته الاجتماعية، ليكون حجر الرحى الذي يستقطب حوله الجميع من ثم يتوصلوا هم انفسهم الى معالجات للمواقف التي ممكن ان تقف عندهم.

فحياة المرتضى العامة لم تكن تخلو من مشاكل اجتماعية وحوادث عارضة محزنة ومؤلمة احيانا، ربما يكون سببها التوجيهات والحبائل السياسية.[49] ومن مثيلاتها احداث الشغب والفوضى التي حدثت سنة 417هـ و انتهاب الكرخ وإحراقها . [50]

دور الشريف المرتضى من مكاتبة الأتراك للملك جلال الدولة :

كما قد ادىالمرتضى دور الوسيط الدبلوماسي بين الملك جلال الدولة والاتراك .وان داره كانت بمثابة الارضية المحايدة التي جمعت الاطراف المتنازعة .

عندما اجتمع الأتراك وعزموا على عقد الجسر والعبور إلى الكرخ ليأخذوا الملك . ثم وقع بينهم الخلاف وقالوا : ما بقي من بني بويه إلا هذا . وابن أخيه أبو كاليجار قد أسلم الأمر إليه ومضى إلى فارس . ثم كتبوا إليه رقعة : نحن عبيدك وقد ملَّكناك أمورنا من الآن، وقد تعدينا عليك، ولكن نكلمك في مصالحنا، فتعتذر إلينا ولا نجد لذلك أثراً، ولك ممالك كثيرة فيجوز إنّ تطرح ذلك مدة، وتوفر علينا هذه الصبابة من المادة، والصواب إنّ لا تخالفنا . وأنفذوا الرقعة إلى المرتضى ليعرضها عليه، فأجاب بأنّا معترفون لكم بما ذكرتم، وما يحصل لنا نصرفه إليكم . فلما وصل القول نفروا وقالوا : هذا غرضه المدافعة . ثم حلفوه على صلاح النية : وبعد ذلك دخلوا وقبلوا الأرض بين يديه، وهو في دار المرتضى . وسألوه الصفح . وركب معهم إلى دار المملكة .[51]

ان هذه المواقف التي يتبناها الشريف والتي لم تكن بتطوع منه وانما هناك بين الحين والاخر من يضعه فيها تثير في النفس سؤالا على يد من تحل الكثير من المعوقات والعقد؟ الا يضطلع المرتضى بحلها حينا وحينا اخر ما هو الا طرف مباشر في حل اشكالاتها منعا لتفاقم الازمة، والعمل على قيادة الامور وتوجيهها بالشكل الذي يلائمها.لذا نرى سرعان ما يستمد العون منه، ولم يتوان هو عن تقديم يد المساعدة . ولا يختلف الحال ايضا في المحرم من سنة419هـ عندما اجتمع الغلمان وأكابرالإسفهسلارية وتحالفوا على اتفاق الكلمة على جلال الدولة. وبرزوا الخِيم . ثم أنفذوا إلى الخليفة يقولون : نحن عبيد أمير المؤمنين، وهذا المِلك متوفرٌ على لذاته لا يقوم بأمورنا، ونريد أن تأمره أن يصير إلى البصرة ويُنفذ ولده نائباً له . فأجيبوا . فأنفذ السلطان أبا الحسن الزيني، وأبا القاسم المرتضى برسالةٍ فاعتذر .[52]

كان المرتضى مرجعا مهما في الاحداث السياسية يلجا اليه الملك والخليفة والسلطة العامة.[53] ففي الثالث عشرمن شوال سنة 425هـ روسل المرتضى بإحضار العيارين إلى داره وأن يقول لهم : من أراد منكم التوبة قبلت توبته وأقر في معيشته، ومن أراد خدمة السلطان استخدم مع صاحب البلد ومن أراد الانصراف عن البلد كان آمنا على نفسه ثلاثة أيام . فعرض ذلك عليهم فقالوا : نخرج فخرجوا. [54]

لعلنا نستلهم سؤالا من هذه الحادثة وهو لماذا يطرح الشريف مشروع المصالحة – ان صح التعبير – في داره لاسيما وان هذا المشروع كان قد عرض عليه ليتم طرحه على العيارين من قبل السلطة .اي لم يكن من مبادرة ذاتية منه ؟ ثم ان موضوع المشروع بحد ذاته بحاجة الى وقفة بارزة منا.

لنجيب اولا على التساؤل ان المراد من استقدام هذه الفئة التي طالما طالت يدها بوجه حق او بدونه الفئات الاجتماعية واخذت تثير الفوضى هنا وهناك حتى استنزفت الكثير من قوة البلد، هو خلق نوع من الشعور لديها بانهم بالرغم من كل شئ افراد ولهم حقوق ولعل من بينها التعامل معهم باحترام لاسيما وان المرتضى لا يعرف التعامل مع الجميع الا باحترام، فهو ليس بارعا في ادارة الشؤون السياسية بحنكة فقط، وانما هو شخص ارتبط بواقع الحياة الاجتماعية ولديه من المؤهلات التي تساعده في اقناع الطرف الاخر .وان عملية استقدامهم الى داره فيها شيء من خلق هذا الشعور بخلجات انفسهم، خاصة وان هناك مشروعا سيتم عرضه عليهم.يتضمن امور عديدة وهي:اما التوبة، او العمل مع السلطة، او الانصراف عن البلد .ولهم الخيار الذي يريدونه .لكن لماذا كل هذه التسهيلات والخيارت ؟!الا تشير كثرة وتنوع الخيارت الى مقدار الانزعاج من اعمال هذه الفئة ؟ وجدية السلطة في هذه المرحلة الى وقف هذه الفوضى التي كانوا يقومون بها . للحد من الاضطرابات التي اخذت ماخذها في البلد.فالمطلوب هو الاصلاح .

كما نلاحظ المرتضى يقدم المشورة الى جلال الدولة عندما شغب الجند عليه في سنة427 هـ وقالوا : هذا البلد لا يحملنا وإياك، فأخرج فإنه أولى بك . قال : كيف يمكنني الخروج على هذه الصورة أمهلوني ثلاثة أيام حتى آخذ حرمي وولدي وأمضي . فقالوا : لا تفعل . ورموه بآجرة، فتلقاها بيده، وأخرى في كتفه، فاستجاش بالحاشية والعامة . وكان عنده المرتضى، والزينبي، والماوردي، فاستشارهم في العبور إلى الكرخ كما فعل تلك المرة، فقالوا : ليس الأمر كما كان، وأحداث الموضع قد ذهبوا . فما كان من جلال الدولة الا الذهاب إلى دار المرتضى، وبعث حرمه إلى دار الخلافة . ونهب الأجناد دار الملك حتى الأبواب وساجها . وراسلوا الخليفة أن تقطع خطبة جلال الدولة، فقيل لهم : سننظر . وخرج الملك إلى أوانا، ثم إلى كرخ سامراء . ثم خرجوا إليه واعتذروا ومشي الحال .[55]

ان ما يثير الاعجاب منه سياسيا كونه لم يكل او يمل عن العمل في اسوأ الظروف دقة وحراجة، فعندما مرت بالملك جلال الدولة ظروف عسيرة، اخرج فيها من بغداد وظل المرتضى يسنده ويحمي ظهره حتى عاد اليها.[56]

ينبغي ان نقول ان هناك اشبه ما يمكن ان نسميه بنزعة في اللجوء الى المرتضى كلما وقع احد افراد السلطة في مأزق لاسيما وانه اظهر في كل مرة انه الملاذ الآمن لمن يلجأ اليه

.وان شعوره بالمسؤولية كان الدافع الاكثر الذي يحركه وان عليه ان يجد سبيلا لحل المشاكل والتغلب على المعوقات .

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة في رحاب نشاط وعمل الشريف المرتضى مع السلطان، والذي عاش الفترة البويهية وادرك نفوذ الاتراك حاول ان يلم شعث امته بسلوكه وعلمه . لا باس ان نقف عند ابرز النتائج التي توصل الباحث اليها:

- يتمتع الشريف المرتضى برجاحة العقل وبعد النظر ونفاذ البصيرة وعمق التجربة والهيبة ونفوذ الكلمة في الاوساط السياسية والشعبية.
- ان الشريف المرتضى هو بمثابة قائد ميداني يدور مع الاحداث لا يمكنه ان يغفل عما يحدث.ولعله بهذه المواقف ومثيلاتها يخفف من سوء الوضع الذي كان الفرد يعيشه .
- ان النقابة العامة تعد بمنزلة منصب ديني وقيادي رفيع، يتولى فيه النقيب تمثيل افراد طائفته سياسيا، ويقوم بادارة شؤونهم، والحكم بينهم والدفاع عن حقوقهم وعن انسابهم.
- عمل جاهدا وبذكاء من اجل الحفاظ على طائفته من خلال وجوده في هيكلية الدولة.
- ان المرتضى بعلاقته مع رجال السلطة البويهية من ملوك وسلاطين ووزراءوغيرهم لم يقف مع باطل فعلوه ابدا وانما كان غالبا ما تدفعه نزعته الاصلاحية الى تقويم عملهم كلما سنحت الفرصة الى ذلك.
- ان الحكمة تقتضي من انخراطه برفقة علماء عصره في ادارة الدولة مجتمعين ولا لانفراد وتسلط فئة على حساب فئة اخرى.وانه لا بد من توجيه بعض لبعضهم الاخر للوصول الى بر الامان .
- انه رجل يخشى جانبه وتهاب كلمته ويحسب لشأنه ولنفوذه وصولته حساب لذلك استطاع ان يفرض شخصيته على الدولة وبالتالي الحفاظ على طائفته.
- ان المرتضى لم يخضع لاغلال السلطة، وانما نجد العكس من ذلك فقد خضعت السلطة له بصورة مباشرة او غير مباشرة وما اغداق الالقاب الى الشريف الا احدى صور الخضوع.
- كان وجوده في الدولة لم يكن في الحقيقة عن استسلام وخضوع او تنازل عن الحق، وانما كان نوعا من المهادنة والتعايش او التبادل الودي الذي كان يفرضه الواقع السياسي او الاجتماعي، مع الحفاظ على عزة الجانب وهيبة المقام.

- والكتب التي الفها تلبية لرغبة بعض رجال الدولة انذاك، يمكن ان تكون كلها ادلة على ما استطاع المرتضى ان يحقق من علاقات تخدم علو منزلته للتأثير على قرارات الدولة.
- ان الشريف المرتضى بما كان يحتله من مكانة مرموقة وما كان يقوم به من دور من خلال المناصب التي تقلدها دفعته الى العمل وبكل جرأة ان يضع حدا لدرء الفتنة التي كانت تعصف بالبلاد وعدم السماح لمن يريد ان يستغلها بان يتخذها فرصة لتحقيق مآربه الفاسدة وان لا يكونوا رهيني الفتنة .
- **كان المرتضى** مرجعا مهما في الاحداث السياسية يلجا اليه الملك والخليفة والسلطة العامة.
- **مثلت** شخصية الشريف وبالرغم من تسارع الاحداث وتطورها انه صاحب قيم ثابتة بالرغم من الاحداث المتغيرة .ولعل السبب في ذلك هو معرفته برجال عصره بالرغم من كل انتماءاتهم الطائفية وانحداراتهم الطبقية وخلفياتهم الثقافية ومستوياتهم المعاشية.

الهوامش :

(1) ابن الجوزي:عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت، 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق :محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، (بيروت– 1992)، ج 15 ، ص111 – 112

(2) محي الدين:عبد الرزاق، ادب المرتضى، مطبعة المعارف، (بغداد– 1957)، ص252.

(3) المعتوق:د.احمد محمد، الشريف المرتضى حياته ، ثقافته، ادبه ونقده، (بيروت– 2008)، ص39.

(4) الذهبي :محمد بن احمد بن عثمان(ت، 748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق:د.عمر عبد السلام تدمري، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت– 1998)، ج 28 ، ص 250 – 251.

* الأصفهلارية : كلمة فارسية تعني قادة الجند. دهخدا : علي اكبر، لغتنامه ، (طهران– 1372 هجرى ش) ، باب اسپهسالار.

(5) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 175 – 177.

(6) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 190 – 192 .

(7) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 – ص 320 – 326.

(8) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : فؤاد سيد، (الكويت – 1961)، ج 3 ، ص 147؛ ابن خلدون :عبد الرحمن المغربي(ت، 808هـ)، تاريخ ابن خلدون، ط4، دار احياء التراث العربي ، (بيروت– بلا تا)، ج 3 ، ص 447 – 448.

(9) ابن الأثير:علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت، 630هـ)، الكامل في التاريخ ، دار صادر، (بيروت– 1966)، ج 9 ، ص 236.

(10) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 217 – 220.

(11) الصفدي :خليل بن ايبك(ت، 764هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث لبعربي، (بيروت– 2000)، ج 17 ، ص 12 – 13 .

(12) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 226 – 230.

(13) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج 29 ، ص 20 – 21.

(14) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص163 – 164 .

(15) المعتوق، الشريف المرتضى، ص38.

(16) ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله المدني(ت، 656هـ) ، شرح نهج البلاغة ، (بيروت– 1959)، ج 1 ، ص 37 – 42؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: حسين الاسد، اشراف وتخريج :شعيب الارناؤوط ، ط9، مؤسسة الرسالة، 1993، ج 15 ، ص 132 – 133.

(17) محي الدين، ادب المرتضى ، ص 73–74.

(18) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 24 – 28، ج 9 ، ص 417 – 418 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج 1 ، ص 22 – 25.

(19) المعتوق، الشريف المرتضى، ص 39.

(20) الشريف الرضي : محمد بن ابي احمد الحسين بن موسى(ت، 406هـ) ، تلخيص البيان في مجازات القرآن تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة– 1955) ، ص 82؛ اليافعي : عبد الله بن اسعد بن علي بن سلمان اليمني المكي(ت، 768هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار احياء الكتب العلمية، (بيروت– بلا تا)، ج 3، ص 27 – 30؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج 3 ، ص 133 – 135.

(21) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 197 – 202.

(22) الشريف المرتضى :علي بن الحسين الموسوي العلوي(ت، 436هـ) ، رسائل الشريف المرتضى، تقديم : السيد احمد الحسيني ، اعداد السيد مهدي الرجائي ، مطبعة سيد الشهداء، (قم المقدسة– 1405هـ)، ج 2 ، ص 87 – 91.

(23) الأمين: حسن ، مستدركات أعيان الشيعة ، دار المعارف للمطبوعات ، (بيروت– 1987)، ج 5 ، ص 291.

(24) السبحاني : الشيخ جعفر، تذكرة الأعيان ، مطبعة اعتماد، (قم المقدسة– 1419هـ) ، ص 42 – 43.

(25) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى ، ج 2 ، ص 87 – 91.

(26) الشريف الرضي، حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، شرح:محمد رضاال كاشف الغطاء ، دار المهاجر للطباعة والنشر، (بيروت– 1355هـ)، ص المقدمة 13 – 14.

(27) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص 336.

*سمارية او (السميرية) : ضَربٌ من السفن .ابن منظور:جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت711هـ)، لسان العرب، نشر ادب الحوزة، (قم المقدسة– 1405هـ)، ج4، ص 378.

(28) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص 392 – 393.

(29) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 119؛ البروجردي :علي اصغر بن العلامة السيد محمد شفيع، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال ؛تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، اشراف:السيد

محمود المرعشي ، مطبعة بهمن، (قم المقدسة- 1410هـ)، ج 2 ، ص 475؛ القمي :عباس، الكنى والألقاب ، تقديم : محمد هادي الاميني ، (طهران- بلا تا)، ج 2 ، ص 273 - 274.

(30) الخطيب البغدادي : احمد بن علي (ت، 463هـ)، تاريخ بغداداو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1997) ، ج 11 ، ص 401؛ابن تغري بردي :جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي (ت، 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (المؤسسة المصرية العامة للتاليف والتلرجمة والطباعة والنشر - بلا تا)، ج 4 ، ص 239.

(31) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص111 - 112.

(32) محي الدين، ادب المرتضى، ص85-86.

(33) الشريف المرتضى، طيف الخيال، تحقيق:حسن كامل الصيرفي، مراجعة ابراهيم الابياري، دار احياء الكتب العربية، 1962، ص35- 36.

(34) الشريف المرتضى ، طيف الخيال، ص3.

(35) الشريف المرتضى ، طيف الخيال، ص3.

(36) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص 189؛ ابن كثير:ابو الفدا اسماعيل الدمشقي (ت، 774هـ)، البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت - 1988)، ج 11، ص385.

(37) المعتوق، الشريف المرتضى، ص39- 40.

(38) المدني: السيد علي خان الشيرازي (ت، 1120هـ)، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، تقديم: محمد صادق بحر العلوم ، ط2، (قم المقدسة- 1397هـ)، ص 460 - 464.

(39) المروج الخراساني :عبد الحسين احمد الاميني النجفي ، نظرة إلى الغدير ، اعداد وتنسيق: علي اصغر ، (قم المقدسة- 1416هـ)، ص 90 - 91.

(40) المعتوق، الشريف المرتضى، ص42.

(41) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 27 ، ص 159 - 160؛

(42) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص 376.

(43) المعتوق، الشريف المرتضى ، ص 341-342.

(44) محي الدين، ادب المرتضى، ص 251- 252.

(45) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 111 - 113 .

(46) المعتوق، الشريف المرتضى ، 39.

(47) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص163 - 164 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12 ، ص 21 - 22.

* معتمد الدولة قرواش بن المقلد 391هـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج 9، ص552.

(48) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص 335 - 336.

(49) المعتوق، الشريف المرتضى، ص45.

(50) الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج 28 ، ص 258 - 259. العبر في خبر من غبر ، ، ج 3 - ص 123 .

(51) الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج 29 ، ص 26 - 27.

(52) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج 28 ، ص 263 - 264.

(53) محي الدين ، ادب المرتضى، ص108-109.

(54) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 241 – 242؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج 29 ، ص31 – 32.

(55) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج 15 ، ص 253 – 255؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص 446 – 447؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج 29 ، ص 36 – 37.

(56) محي الدين، ادب المرتضى، ص 252.

قائمة المصادر والمراجع

اولا :المصادر الاصيلة

ابن الأثير:علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت، 630هـ).

1- الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت- 1966).

ابن تغري بردي :جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي (ت، 874هـ).

2- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر – بلا تا).

ابن الجوزي:عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت، 597هـ).

3- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق :محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1992).

ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله المدني(ت، 656هـ) .

4- شرح نهج البلاغة، (بيروت- 1959).

الخطيب البغدادي : احمد بن علي (ت، 463هـ).

5- تاريخ بغداداو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1997)

ابن خلدون :عبد الرحمن المغربي(ت، 808هـ)

6- تاريخ ابن خلدون، ط4، دار احياء التراث العربي ، (بيروت- بلا تا).

الذهبي :محمد بن احمد بن عثمان(ت، 748هـ).

7- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق:د.عمر عبد السلام تدمري، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1998) .

8- العبر في خبر من غبر، تحقيق : فؤاد سيد، (الكويت – 1961).

9- سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الاسد، اشراف وتخريج :شعيب الارناؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة، 1993.

الشريف الرضي : محمد بن ابي احمد الحسين بن موسى(ت، 406هـ) .
10- تلخيص البيان في مجازات القرآن تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة- 1955) .
11 -حقائق التأويل في متشابه التنزيل، شرح:محمد رضاال كاشف الغطاء، دار المهاجر للطباعة والنشر، (بيروت- 1355هـ).
الشريف المرتضى :علي بن الحسين الموسوي العلوي(ت، 436هـ) .
12- رسائل الشريف المرتضى، تقديم : السيد احمد الحسيني، اعداد السيد مهدي الرجائي، مطبعة سيد الشهداء، (قم المقدسة- 1405هـ).
13- طيف الخيال، تحقيق:حسن كامل الصيرفي، مراجعة ابراهيم الابياري، دار احياء الكتب العربية، 1962.
الصفدي :خليل بن ايبك(ت، 764هـ) .
14- الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث لبعربي، (بيروت- 2000.
ابن كثير :ابو الفدا اسماعيل الدمشقي (ت، 774هـ).
15- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، (بيروت – 1988).
المدني: السيد علي خان الشيرازي (ت، 1120هـ).
16- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، ط2، (قم المقدسة- 1397هـ).
ابن منظور :جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري(ت، 711هـ).
17- لسان العرب، نشر ادب الحوزة، (قم المقدسة- 1405هـ).
اليافعي :عبد الله بن اسعد بن علي بن سلمان اليمني المكي(ت، 768هـ) .
18- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار احياء الكتب العلمية، (بيروت- بلا تا).

ثانيا:المراجع الحديثة

الأمين: حسن
19- مستدركات أعيان الشيعة، دار المعارف للمطبوعات، (بيروت- 1987).

البروجردي :علي اصغر بن العلامة السيد محمد شفيع.
20- طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال ؛تحقيق: السيد مهدي الرجائي، اشراف:السيد محمود المرعشي، مطبعة بهمن، (قم المقدسة- 1410هـ).
السبحاني : الشيخ جعفر .
21- تذكرة الأعيان، مطبعة اعتماد، (قم المقدسة- 1419هـ) .
القمي :عباس.
22- الكنى والألقاب، تقديم : محمد هادي الاميني، (طهران- بلا تا).
محي الدين:عبد الرزاق
23- ادب المرتضى، مطبعة المعارف، (بغداد- 1957) .
المروج الخراساني :عبد الحسين احمد الاميني النجفي .
24- نظرة إلى الغدير، اعداد وتنسيق: علي اصغر، (قم المقدسة- 1416هـ).
المعتوق:د.احمد محمد
25- الشريف المرتضى حياته، ثقافته، ادبه ونقده، (بيروت- 2008) .
ثالثا: المصادر الفارسية
26- دهخدا على اكبر ، لغتنامه ،انتشارات دانشگاه طهران ،طهران 1372 هجرى ش.

Issue of working with Sultan between theory and practice by Sharif al-Murtaza

Dr.Raheem M. Jaber
Baghdad University / College of Language
Department of Persian Language

Abstract

The research deals with the Issue of working with Sultan, so it was a Shia belief that there is a real need to deal with the Sultan of time, because The message of Islam came to deliver the word religion to unfair state always as suggested by the Prophetic tradition (best word jihad right in front of an unjust ruler)

Therefore, Sharif al-Murtaza saw that wisdom requires the involvement accompanied by scientists of his time at the State Administration Represented personal Sharif and despite the acceleration of events and evolution that the owner of constant values in spite of the changing events, especially Sharif al-Murtaza and

incident to renew the pledge of allegiance , the role of Murtada of correspondence Turks of King Jalal State and other events.

Research plan that divide it into two sections included the Sharif al-Murtaza work with the Abbasid caliphate represented by the governing authority. As the second topic was focused on his work with the power buyid.